﴿أمر جامع﴾ أمرٍ مهم يجب اجتماعهم له، كأمر الحرب والجهاد ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ لم يتركوا مجلسه حتى يستأذنوا الرسول، نزلت في غزوة الخندق، كان المؤمنون يستأذنون الرسول لضرورة، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول﴾ لا تنادوا الرسول ﷺ باسمه العلم فتقولوا: يا محمد ﴿كدعاء بعضكم بعضا﴾ كما ينادي بعضكم بعضاً فيقول: يا خالد، يا أحمد، بل قولوا: يا نبيّ الله، ويا رسول الله، تعظيماً لمقامه وتفخيماً لشأنه، قال قتادة: أمرهم أن يشرّفوه ويفخّموه ﴿يتسللون منكم﴾ قد علم الله من يتسلّل منكم من مجلس الرسول خفية ونستراً ﴿لواذا﴾ يستتر بعضهم ببعض لئلا يراه الرسول ﴿يخالفون عن أمره﴾ فليحذر الذين يخالفون أمر الرسول ﷺ ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أن تنزل بهم محنة عظيمة في الدنيا ﴿عذاب أليم﴾ ينالهم عذاب شديد في الآخرة، والتسلّل: الخروج في خفية، واللّواذ: تستّر بعضهم ببعض للهرب، كمن يحتمي بغيره لئلا يُرى، وهذا عمل المنافقين.

سورة الفرقان

﴿نزّل الفرقان﴾ القرآن العظيم المعجز، الفارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال ﴿على عبده﴾ محمد ﷺ ﴿للعالمين نذيرا﴾ لجميع الخلق من الإنس والجن ﴿فقدّره تقديرا﴾ خلقه بإتقان وإحكام، بحكمته وتدبيره، فكلُّ خلق الله بديع، ومهيأ لما يصلح له.

الجزء الثامن عشر — سورة الفرقان

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟
مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ
لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

﴿مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً﴾ لا تملك الآلهة أن تميت أحداً ولا أن تحييه ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ ولا بعثهم من القبور ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ ما هذا القرآن إلا كذب اخترعه محمد من عند نفسه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ﴾ وساعده على هذا الاختلاق قوم من اليهود ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾ جاءوا بالظلم والبهتان، إذ جعلوا أفصح لسان وأبدع بيان، يتلقّنه محمد من أناس لا يعرفون اللغة العربية ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ خرافات وأحاديث الأولين ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ استكتبها غيره ولم يقولوا: كتبها لأنهم يعرفون أنه ﷺ أميٌّ لئلا ينسبوا إلى الكذب ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ تُلقى ونُقرأ عليه ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ في الصباح والمساء ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ ما شأن هذا الرسول يأكل كما نأكل وفي قولهم ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ تهكم واستهزاء، لأنهم لا يؤمنون برسالته ﴿إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هلّا رافقه مَلَك ليشهد له بصدق الرسالة!! ﴿كَنزٌ﴾ يهبط عليه كنزٌ من السماء، ليستغني به عن طلب المعاش!! ﴿لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ يكون له بستان مثمر يأكل من ثماره!! ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ غلب السحر على عقله ﴿ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ الأقاويل العجيبة، الجارية مجرى الأمثال ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً للوصول إلى الحق ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً حامية مستعرة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي قال السفهاء في حق القرآن: إنه خرافاتُ الأمم السابقين، أمر محمد أن تُكتب له، فهي تُقرأ عليه ليحفظها صباحاً ومساءً!! لقد أعجز القرآن بفصاحته العرب، فلمّا تحدّاهم قبعوا في جحورهم، وأخذوا يخوضون فيه بالكذب والبهتان، وحتى لا يكون كذبهم مكشوفاً، قالوا: ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي طلب من يكتبها له، لأنه ﷺ أميٌّ لا يعرف قراءة ولا كتابة.

سورة الفرقان
لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾
إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي
هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ إذا رأتهم جهنم سمعوا صوت لهيبها وغليانها، كالغضبان الذي غلا صدره من الغيظ، وسمعوا لها زفيراً أي أنيناً كأنين المحزون ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مقرونة أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال، في مكان ضيّق من جهنم ﴿ثُبُورًا﴾ دعوا على أنفسهم بالهلاك فقالوا: يا شقاءنا وهلاكنا ﴿ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ لا تدعوا بالهلاك مرة واحدة، بل ادعوا مراراً وتكراراً ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أتلك السعير خير أم جنة الخلد؟ وهو أسلوب تقريع وسُخرية، فإنه لا يُقال العذاب خيرٌ أم النعيم؟ إلا على طريق السخرية ﴿وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾ موعوداً كريماً يجدُرُ بالعاقل أن يسأل عنه ويطلبه!! ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ جمعهم للحساب ويجمع كل من عُبد من دون الله كعيسى، وعزير، والملائكة، ويسألهم تعالى ﴿فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي﴾؟ هل أنتم دعوتموهم إلى عبادتكم؟ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ ننزهك عن أن يكون معك إله ﴿مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ تمتعوا بالحياة الفانية ونعيمها ﴿نَسُوا الذِّكْرَ﴾ حتى غفلوا عن ذكرك، ونسوا دلائل قدرتك ووحدانيتك ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى ﴿صَرْفًا﴾ دفعاً للعذاب عن أنفسكم ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاء وامتحاناً ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ هل تصبرون على هذا الابتلاء والامتحان؟ والمراد بالفتنة أن الله سبحانه ابتلى الغنيّ بالفقير، والسقيم بالصحيح، والشريف بالوضيع.

قال الحسن البصري: يقول الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيراً مثل فلان!! ويقول الفقير: لو شاء الله لجعلني غنياً مثل فلان!! ويقول المريض: لو شاء الله لجعلني صحيحاً مثل فلان.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا
يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ
هَبَآءً مَّنثُورًا أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً
وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لإنكارهم البعث ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هلّا نزلت علينا الملائكة ليخبرونا أن محمداً صادق!! ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ أو نرى الله بأعيننا فيخبرنا بأن محمداً رسول!! قالوه على سبيل الكبر والتعنت، ولهذا قال: ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبّروا حين نفوّهوا بمثل هذه الأقوال الشنيعة ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ تجاوزوا الحدَّ في الكفر والطغيان ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ لا تكون لهم البشارةُ السارة ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وتقول الملائكة لهم: حرام محرَّم عليكم دخول الجنة اليوم ﴿هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ جعلنا أعمالهم التي ظنوها صالحة، مثل الغبار المنثور في الجوّ ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ خير مسكناً، وأحسن راحةً وقت الظهيرة، لأنهم يكونون في الفردوس والنعيم المقيم ﴿تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ تتفتح السموات لنزول الملائكة ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ يتحسّر ويندم الظالم لما فرّط في جنب الله.

سبب النزول: نزلت في «عُقبة بن أبي معيط» صنع طعاماً ودعا إليه رسولَ الله ﷺ فأبى الرسول أن يأكل من طعامه حتى يشهد له بالرسالة، فشهد له بذلك، وكان صديقه (أُبيّ بن خلف) غائباً فلما بلغه الخبر قال له: وجهي من وجهك حرام حتى تكفر بمحمد، فكفر إرضاءً لصديقه ففيه نزلت الآية ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ وقوله: ﴿أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ صرفني عن الهدى والإيمان بعد أن آمنت ﴿خَذُولًا﴾ الشيطان يُغوي الإنسان ثم يتبرأ منه ﴿مَهْجُورًا﴾ لا يؤمنون به ولا يستمعون له ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ هلّا نزل القرآن دفعة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل؟

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أنزلناه مفرّقاً لنثبت حفظه في قلبك، وتقوى على العمل به ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أحسن بياناً وتفصيلاً ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يُسحبون إلى النار على وجوههم، ويُجرُّون إليها كما تُجرُّ البهائم، سُئل رسول الله ﷺ: كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «إن الذي أمشاه في الدنيا على قدميه قادر على أن يمشيه على وجهه» رواه البخاري ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكناهم إهلاكاً فظيعاً، ولفظ التدمير يدلُّ على فظاعة العقاب وشدَّته ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ قوم قتلوا نبيهم فخُسفت بهم الأرضُ ﴿وَقُرُونًا﴾ خلائق كثيرين أهلكناهم ﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ ذكَّرناه بأخبار الطغاة المتجبرين ليعتبروا ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ دمرناه تدميراً مُريعاً ﴿أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ قرى قوم لوط، الذين قُلبت بهم ديارُهم، وأُمطروا بحجارة من نار، نزلت عليهم مثل المطر ﴿يَرَوْنَهَا﴾ ألم يكونوا يشاهدونها مقلوبة في أسفارهم إلى الشام ﴿يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ لا يعتقدون بالبعث بعد الموت، لذلك لم يتّعظوا ﴿هُزُوًا﴾ يجعلونك مكان سخريةٍ واستهزاء ﴿بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ أهذا هو الرسول الذي أرسله الله إلينا؟ هذا الفقير اليتيم؟ أمَا وجد الله رسولاً غير يتيم أبي طالب؟ هلّا نزل على رجل من عظماء مكة؟ ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ كاد محمد بسحره، أن يصرفنا عن عبادة الأصنام ﴿أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ من هو أبعدُ عن طريق الهدى والصواب؟ هل هم أم محمد خاتم الأنبياء؟ ﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ جعل هواه إلهاً له، **قال ابن عباس**: كان الرجل يعبد حجراً، فإذا رأى حجراً أحسن منه، رماه وأخذ الثاني فنَحته وعَبَده.! فذلك قوله تعالى: ﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
ٱلظِّلَّ ۖ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ
مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا۟ ۖ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ
وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ
ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ﴾ ما هم إلا كالدواب والبهائم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أقلُّ شأناً من الدواب، لأن البهائم تهتدي لمصالحها، وهؤلاء لا يعرفون لماذا خُلقوا؟ ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ بسطه وضح النهار، ليتخلَّص الإنسان من حرارة الشمس المتوهجة؟ ﴿سَاكِنًا﴾ دائماً ثابتاً في مكان لا يتحوَّل عنه ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أزلناه على التدريج قليلاً قليلاً ﴿لِبَاسًا﴾ جعل الليل للراحة والسكن ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم قاطعاً لأعمالكم ﴿النَّهَارَ نُشُورًا﴾ للكسب والعيش، والنومُ واليقظةُ نموذجان للموت والبعث ﴿نُشُرًا﴾ يرسل الرياح مبشِّرة بنزول المطر ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ لنحيي بالمطر أرضاً مجدبة يابسة ﴿أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ وليشرب من هذا الماء الحلو البهائمُ، والبشر ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ المراد بالبحرين: مياه البحار، ومياه الأنهار، هذا ماؤه حلوٌ عذب، وهذا شديد الملوحة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ اليابسة من الأرض ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ محرَّماً أن يطغى أحدهما على الآخر فيفسده، هذا الوصف للبحرين لا ينطبق إلا على البحار والأنهار، لأنه لا يوجد بحر ماؤه حلو مطلقاً ﴿نَسَبًا﴾ ذكوراً لهم أحفاد من النسب ﴿وَصِهْرًا﴾ وإناثاً تكون بهن المصاهرة ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ معيناً للشيطان على الشرك بالله.. وضَّح تعالى أنه خلق هذا الإنسانَ، السميعَ البصيرَ، من النطفة المهينة، فجعله في أكمل صورة، وأبدع خلق، وقسَّم الخلق قسمين: ذكوراً يُنسب إليهم الأولاد، وإناثاً يُصاهر بهن، فبالنسب يتعارفون ويتواصلون، وبالمصاهرة تلتقي الجماعات والأسر.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ٦٠ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ٦١ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ لا أسألكم على هدايتي لكم أجراً، إنما أطلب أجري من الله ﴿سَبِيلًا﴾ من أراد لنفسه الهداية فليسلك طريق الإيمان ﴿عَلَى الْحَيِّ﴾ اعتمد في جميع أمورك على ربك ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ الباقي الدائم الذي لا يفنى ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ نزّهه تعالى عن جميع النقائص ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يليق بجلاله وكماله ﴿خَبِيرًا﴾ اسأل ربَّ العزة والجلال عن صفاته القدسية، فالمراد بالخبير «رب العالمين» لأنه لا يعلم عظمته وجلاله إلا هو سبحانه ﴿بُرُوجًا﴾ منازل للكواكب السيارة تدور فيها ﴿سِرَاجًا﴾ شمساً ساطعة وهّاجة ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ينير بالليل كما تنير الشمس بالنهار ﴿خِلْفَةً﴾ يتعاقبان على الدوام، يأتي النهارُ بضيائه، ثم يأتي الليل بظلامه، وكلُّ واحد منهما يخلف الآخر ﴿هَوْنًا﴾ يمشون بسكينةٍ وتواضع من غير تبختر واستكبار ﴿سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ يحيون الليل بالصلاة ساجدين وقائمين ﴿عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ عذابُ جهنم دائم لازم، لا ينقطع ولا يرتفع ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ بئست جهنم مقراً ومسكناً للفجار ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ ليسوا مبذّرين ولا بخلاء ﴿قَوَامًا﴾ وسطاً واعتدالاً، وخير الأمور الوسط ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي اسجدوا لربكم الرحمن، وصلّوا له واعبدوه، قالوا سخريةً واستهزاءً: من هو هذا الرحمن الذي تأمرنا بالسجود له؟ أنَوْا السجود للرحمن، ووضعوا رؤوسهم التي تحمل عقولهم، للأصنام والأوثان، فما أسفههم وأحمقهم؟ وما أبعدهم عن منطق العقل والفطرة!!

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾
سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يصونون أنفسهم عن القتل، إلا إذا كان بحقّ «كالقصاص، والزنى بعد الإحصان، والردة عن الإسلام» ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ لا يرتكبون جريمة الزنى، التي هي من أفحش الجرائم وأقبحها ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ يجد عقوبةً شديدة في الآخرة ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ يخلَّد في نار جهنم مهاناً حقيراً ذليلاً ﴿سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ يتوب عليه ويمحو ذنبه، فينقله من الفجور إلى التقوى، ومن المعصية إلى الطاعة، وقيل: إن السيئات تنقلب إلى حسنات بالتوبة الصادقة لحديث: «**اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعترف بها فيقال له: إن لك بكل سيئةٍ حسنة**» رواه مسلم ﴿مَتَابًا﴾ توبة نصوحاً صادقة، لا غشَّ فيها ولا نفاق ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ كل شيء قبيح ينبغي أن يُلغى ويطرح ﴿كِرَامًا﴾ منزّهين أنفسهم عن أماكن الفُحش والفجور ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ إذا سمعوا آيات الذكر الحكيم، لم يكونوا كالصمّ والعمي، لا يفهمون ولا يتدبرون ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ تقرُّ بهم أعيننا يكونون لنا بهجةً ومسرّة ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الدرجات العالية، والمنازل الرفيعة في جنان الخلد والنعيم ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ مع التكريم والتسليم ﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ ما يكترث ولا يبالي بكم رب العزة والجلال، لولا عبادتكم وتضرُّعكم له ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ سوف يكون عقابكم لازماً لا محالة، لكفركم وتكذيبكم لآيات الله.

* * *